الاستغفار

أمان لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة

إعداد
بشير شبرو

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

الاستغفار

أمان لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة

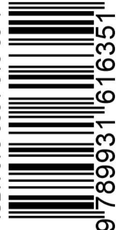
إعداد

بشير شبرو

دار الفرقان للنشر والتوزيع

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ١٤٤١/٢٠٢٠
ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-٣٥-١
الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠٢٠

Dar Al-furquan Edition. 2018
ISBN: 978-9931-616-35-1
Dépôt Légal: 2eme semestre. 2020



الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ — ٢٠٢٠ م

الصف والإخراج الفني
بدار الفرقان

دار الفرقان للنشر والتوزيع

المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة
باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر
جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠
dar.alfurquan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴿١﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴿٧١﴾ [الأحزاب ٧٠- ٧١].

أمّا بعد:

فهذه الرسالة **(الاستغفار أمان لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة)** فصل من رسالتي **(الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة)** رأيت أن أفردها بالطباعة، لأهمية الاستغفار وضرورة الحاجة إليه، ولتيسير الانتفاع بها، مع بعض الزيادات النافعة بإذن الله تعالى وتيسيره وتوفيقه..

الاستغفار.. الاستغفار.. الاستغفار..

بالليل.. والنهار.. وبالأسحار...

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

درر وجواهر
من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

- قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوام الدين بالتوحيد والاستغفار.. [التحفة العراقية في أعمال القلوب. (ص:٨٣)].
- وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله. [مجموع الفتاوى: (١/ ٥٦)].
- وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه.
- فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله. وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله. [مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٧)].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استغفار الإنسان أهمُّ من جميع الأدعية.. [جامع المسائل: (٦/ ٢٧٧)].

■ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوما: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد أنفع له وإذا كان دنسا فالصابون والماء الحار أنفع له فقال لي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟

■ ومن درر ونفائس تلميذه العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه: زال عنه همّه وغمّه وحزنه. [شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٧٤/ الشاملة)].

إِذا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُنافِسَ الصّالِحينَ في أَعْمالِهِمْ فَنافِسِ المذْنِبينَ في اسْتِغْفارِهِم

▪ قال الإمام العلاّمة الربّاني ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن عجز عن مسابقة المحبّين في ميدان مضمارهم، فلا يعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم واعتذارهم، صحائف التائبين خدودهم، ومدادهم دموعهم، قال بعضهم: إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم..". [لطائف المعارف. (ص:٥٠)].



أكمل وأفضل وأنفع أنواع ذكر الله

أكمل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، ثم ما كان بالقلب وحده، ثم ما كان باللسان وحده، وفي كلٍّ أجرٌ إن شاء الله تعالى.

■ قال الإمام الرباني النووي رحمه الله: "الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضلُ منه ما كانَ بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصرَ على أحدهما فالقلبُ أفضل".

[انتهى من الأذكار (ص: ٢٠)].

ولكن نبه العارفون بأحوال القلوب على أن الذكر الذي يقتصر على اللسان دون القلب قليل الجدوى، وأن ثمرته ضعيفه.

■ قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهي [أي أنواع الذكر] تكون بالقلب واللسان تارة، وذلك أفضل الذكر، وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحده تارة وهي الدرجة الثالثة.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده؛ لأن ذكر القلب يُثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزع (أي: يمنع) عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات. وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا منها، فثمرته ضعيفة ".

[انتهى من " الوابل الصيب من الكلم الطيب" (ص: ١٢٠)، وانظر: "مدارج السالكين" (٢ / ٤٢٠)].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس في الذكر

أربع طبقات:

- **إحداها**: الذكر بالقلب واللسان، وهو المأمور به.
- **الثاني**: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.
- **الثالث**: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر اللّه، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيرًا إلا حركة لسانه بذكر اللّه. ويقول اللّه -تعالى-: (**أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**).
- **الرابع**: عدم الأمرين وهو حال الخاسرين. [مجموع الفتاوى: ١٠/ ٥٦٦].



بيان معنى وحقيقة الاستغفار

الاستغفار في اللغة طلب المغفرة، وأصل "الغَفْر": التغطية والستر؛ يقال: غفَر الله ذنوبه؛ أي: سترها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المَغفِرة معناها وقاية شرِّ الذنب بحيث لا يُعاقَب على الذنب، فمَن غُفر ذنبُه لم يعاقَب عليه، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمَن غُفر له لم يُعذَّب، ومَن لم يُغفَر له عُذِّب، وهذا مذهب الصحابة والسلف والأئمة.

الاستغفار نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة.

▪ فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره... فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة

تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

- وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله...

- قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾[نوح:١٠]، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل:٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣]، والمقرون كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣]، وقول هود لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١]، وقول شعيب: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴿٩٠﴾﴾[هود: ٩٠]، فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن

وإما باللزوم.

وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإنّ الله لا يعذب مستغفرا، وأما من أصرّ على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار:

طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فهاهنا ذنبان: **ذنب قد مضى**، فالاستغفار منه: طلب وقاية شره، **وذنب يخاف وقوعه**، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى

غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبا بقوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٣]، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم". [مدارج السالكين: (١/ ٢٤٩-٢٥٠)].



من أسماء اللّه وصفاته "الغفور" و"الغفّار" و"الغافر"

▪ يقول الحق تبارك وتعالى في محكم آياته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

▪ من أسماء اللّه تعالى وصفاته: (الغافر - الغفار - الغفور)، وقد أخبرنا ربنا تعالى أنه غافر الذنوب، وغفارها، وغفورها، كما قال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ٣]. وقال تعالى فيما حكاه عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال بعضهم قد سمّى اللّه نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفّار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار.. قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. أما الغفّار ففي قولِهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص:٦٦]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد مرة واحدة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

■ قال العلاّمة الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: {غفور} يحتمل أن تكون صيغة مبالغة - وقد ورد أن من صيغ المبالغة

«فعول» – لكثرة مغفرته سبحانه وتعالى، وكثرة من يغفر لهم؛ فالكثرة هنا واقعة في الفعل، وفي المحل؛ في الفعل: كثرة غفرانه لذنوب عباده؛ وفي المحل: كثرة المغفور لهم؛ ويحتمل أن تكون صفة مشبهة؛ و «الغفور» مأخوذ من الغَفْر؛ وهو الستر مع الوقاية؛ وليس الستر فقط؛ ومنه سمي «المغفر» الذي يغطى به الرأس عند الحرب؛ لأنه يتضمن الستر، والوقاية؛ ويدل لذلك قوله تعالى إذا خلا بعبده المؤمن يوم القيامة، وحاسبه: **"قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"**.[تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٥٢)].

بين الغفور والغفّار: هذان الاسمان الكريمان من صيغ المبالغة، يدلان على كثرة مغفرة الله تعالى، وكثرة من يغفر لهم فالكثرة واقعة في الفعل: وهو كثرة غفرانه لذنوب

عباده، وفي المحل كثرة المغفور لهم.

والفرق بينهما أن الغفور: هو الذي يغفر الذنوب مهما عظمت وكبرت. **والغفّار**: هو الذي يغفر الذنوب مهما تعدّدت وكثرت، **فالغفور**: للذنوب الثّقال العظام، **والغفّار**: للكم والكثرة من الذنوب والآثام، **فالغفور** المبالغة باعتبار الكيفية، **والغفّار** باعتبار الكميّة. [أسماء اللّه الحسنى.. (ص: ٦٤)/ ماهر المقدم].

■ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيّته:

وهو الغفور فلو أتى بقرابها

من غير شرك بل من العصيان

لاقاه بالغفران ملء قرابها

سبحانه هو واسع الغفران

وكـــذلك التـــواب مـــن أوصـــافه

والتـــواب في أوصـــافه نوعـــان

إذن بتوبـــــة عبـــــده وقبولهـــــا

بعـــد المتـــاب بمنـــة المنـــان



أهمّ شروط الاستغفار

■ قال العلاّمة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شروط الاستغفار صحة النية، والتوجه والأدب، فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد، واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشروط هل يستويان؟ فالجواب أن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة. [انتهى النقل عن الحافظ ابن حجر. فتح الباري: (١١ / ١٠٠)].

فالأهم في الاستغفار هو الصدق مع الله، والتذلل إليه سبحانه، والاعتراف الخالص بالتقصير في حقه عز وجل، حينئذ يغفر الله وهو أرحم الراحمين.

أفضل صيغ الاستغفار الثّابتة
في السّنّة النّبويّة الصّحيحة

أما صيغ الاستغفار: فأفضل ذلك ما ثبت في السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوله، أو ما أوصى به الأمة أن تقوله.

١- عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل**

الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة". [رواه البخاري: (٥٩٤٧)].

٢ – عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء **"ربّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير".** [رواه البخاري: (٦٠٣٥)، ومسلم: (٢٧١٩)].

٣ – عن ابن عمر قال: إن كنَّا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: **"رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم"** مائة مرة. [رواه الترمذي: (٣٤٣٤)]. وعنده **"التواب الغفور"** [أبو داود: (١٥١٦)، وابن ماجه: (٣٨١٤)].

٤ - عن أبي يسار عن النبي ﷺ قال: **"مَن قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف"**. [رواه الترمذي: (٣٥٧٧) وأبو داود: (١٥١٧). وصححه الألباني في صحيح الترمذي].

٥ - عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: **قل "اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم"**. [رواه البخاري: (٧٩٩)، ومسلم: (٢٧٠٥)].

والله أعلم. (موقع الإسلام سؤال وجواب).



عِظمُ معاني وأسرار سيّد الاستغفار

عن شدّاد بن أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: "سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، اغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". [رواه البخاري: (٦٣٠٦)].

■ يقول العلاّمة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال ابن أبي جمرة: جمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن

الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل. [انتهى ملخصا].

أيضا: من شروط الاستغفار صحة النية، والتوجه والأدب، فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا

اللفظ الوارد، واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشروط هل يستويان؟ فالجواب أن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة " [انتهى النقل عن الحافظ ابن حجر. فتح الباري: (١١/ ١٠٠)].

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه، العالم به؛ إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده ـ وهو أمره ونهيه ـ الذي عهده إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب أداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر،

وإنما هو جهد المقل، وقدر الطاقة، ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك، ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعذني من شره، وإلا أحاطت بي الهلكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقرّ لك وألتزم بنعمتك علي، وأقرّ وألتزم وأنجع بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب والإساءة، فأسألك أن تغفر لي بمحو ذنبي، وأن تعفيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاء سيد الاستغفار ". [مدارج السالكين: (١ / ٢٢٢)].



الأسوة والقدوة ﷺ والاستغفار

أمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار في مواضع من كتابه، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٥- ١٠٦].

وأمره بعد العلم بالتوحيد أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وأمره مع الصبر بالاستغفار، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ

وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ [غافر: ٥٥].

وأمره بعد أن بلغ الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده، وأتى بما أمر الله به مما لم يصل إليه غيره، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه السورة كان لا يدع أن يقول في ركوعه وسجوده: "**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**" يتأول القرآن.

□ **حث الأمة على الاستغفار:** عَدّ الإمام الحافظ ابن كثير أمر الله لنبيه ﷺ بالاستغفار تهييجًا للأمة على طلب المغفرة، إذ كيف يكون خطاب أفراد الأمة إذا أمر نبيها بالاستغفار؟. [انظر: الفتح (١١/ ١٠١- ١٠٢)].

□ **الأسوة والقدوة ﷺ كان من هديه وسنته ملازمة ومداومة الاستغفار:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " **والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** " [رواه البخاري].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: "**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**". [رواه أبو داود والترمذي صحيح أبي داود: (٥ / ٢٤٨)].

قال محدث العصر الألباني رحمه الله: وفي رواية أحمد: "الغفور" بدل: "الرحيم" وقد اختلف الرواة في ضبط هذا اللفظ كما بينته في "الصحيحة" (٥٦٦)...

ثم قال العلامة الإمام الألباني بعد كلام له: ثم بدا لي أنه لعل المخرج من هذا الاختلاف وذاك أن يقال بالجمع بين

الاسمين الكريمين، فيقال: "الغفور الرحيم"، فقد جاء ذلك في بعض الأذكار كالحديث الآتي (٧٠٦/٥٤٧).

[صحيح الأدب المفرد: (١/ ٢٤١/ الشاملة)].

وعن الأغر المزني ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:" **إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة** " [رواه مسلم].

قيل في معنى قوله: (**إنه ليغان على قلبي**) عدة معانٍ، وهي:

المراد بـ (الغين): الفتور عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمرٍ ما عدّ ذلك ذنبًا، فاستغفر عنه، وحُكي عن عياض.

وقيل: هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس.

وقيل: هي حالة كمثل جفن العين حين يسبل ليدفع القذى، فإنه يمنع الرؤية، فهو من هذه الحيثية نقص، وفي

الحقيقة هو كمال. [فتح الباري: (١١/ ١٠١)].

وجاء في "عون المعبود شرح سنن أبي داود": الغين أصله: الغيم قال في النهاية: غينت السماء تغان: إذا أطبق عليها الغيم. وقيل: الغين شجر ملتف أراد: ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عرض له وقتا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحهما عد ذلك ذنبا وتقصيرا فيفرغ إلى الاستغفار. [عون المعبود: (ج: ٣/ ص: ٤٤٠)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والغين حجاب رقيق أرق من الغيم، فأخبر ﷺ أنه يستغفر الله استغفارا يزيل الغين عن القلب". [مجموع الفتاوى: (١٥/ ٢٨٣)].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: "ما صلى النبي صلاة بعد أن

نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ إلا يقول فيها: **سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**". [رواه البخاري ومسلم].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**؛ يتأول القرآن). [رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه].

□ **الأسوة والقدوة ﷺ يستفتح النهار بالاستغفار:** عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رسول الله ﷺ ونحن جلوس فقال: (**ما أصبحت غداة قط، إلا استغفرت الله فيها مائة مرة**). [صحيح الجامع: (٥٥٣٤)، الصحيحة: (١٦٠٠)].

□ **الأسوة والقدوة ﷺ يحث على الاستغفار وكثرته:**

عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (من

أحب أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار).

[الصحيحة:(٢٢٩٩)].

عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا)**. [صحيح الجامع: (٣٩٣٠)، هداية الرواة: (٢٢٩٥)].

عن أبي يسار زيد مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف)**. [رواه أبو داود والترمذي، الصحيحة: (٢٧٢٧)]. وفي رواية: **(من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الزحف)**.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا

دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ الرَّبُّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي). [حسن: رواه أحمد وأبو يعلى، والحاكم. انظر صحيح الجامع: (١٦٥٠)، الصحيحة: (٦٠٤)].



حاجة وضرورة العبد إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإنَّ العابد لله والعارف بالله في كلِّ يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة، يزداد علمًا بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو

مضطرٌّ إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لِما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرَّات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية.

وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة ألاَّ إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلِّهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكلِّ عاملٍ مقامٍ معلوم، فشهادة ألاَّ إله إلا الله بصدقٍ ويقينٍ تُذهب الشرك كله، دقَّه وجلَّه، خطأه وعمده، أوله وآخره، سرَّه وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شُعَب الشرك، فإنَّ الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول: «لا إله إلا الله»، وأبلغ الدعاء قول: «أستغفر الله»، فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين". [مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٦ -٦٩٧)].



أهمية الاستغفار في حق النساء

نذكّر النساء بأهمية الاستغفار في حقهن، وتأكده، لأن النبي ﷺ لما جاء النساء، قال: (**يا معشر النساء! تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار! قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**). [رواه مسلم].

فكثرة اللعن، وجحد حق الزوج، والتمرد عليه، وفي رواية: (**وتكثرن الشكاة**)، فكثرة الشكاية من أسباب دخول النساء النار، فأوصى النبي ﷺ النساء في المقابل بكثرة الاستغفار، قال: (**يا معشر النساء! تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**).

أفضل أوقات الاستغفار ما كان بالأسحار

قد أثنى الله عز وجل على عباده الذين يستغفرونه في هذا الوقت المبارك بقوله عز وجل: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧]. وقال عز وجل: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾ [سورة الذاريات: ١٧-١٨].

وقد جاء في تفسير قوله عز وجل حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٨]، أنه أخَّر الاستغفار إلى وقت السحر. [انظر تفسير ابن كثير، تفسير الآية: ٩٧ سورة يوسف]،

والسبب فضيلة هذا الوقت أن الله عز وجل يستجيب فيه الدعاء، ويعطي فيه السائل ويغفر للمستغفر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**). [رواه البخاري ومسلم].

■ قال العلامة الإمام ابن سعدي رحمه الله في [تفسيره]: (وللاستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧].اهـ.

■ قال العلامة الإمام ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره: (﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾ الأسحار: جمع سحر،

وهو آخر الليل، ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾، يعني يسألون الله المغفرة، وهذا من حسن عملهم وعدم إعجابهم بأنفسهم، وكونهم يشعرون بأنهم وإن اجتهدوا فهم مقصرون، فيستغفرون الله بعد فعل الطاعة جبراً لما حصل فيها من خلل، ويشرع في نهاية العبادات أن يستغفر الإنسان ربه مما قد يكون فيها من خلل، فبعد الصلاة يستغفر الإنسان ربه ثلاثـًا، وبعد الحج قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ [سورة البقرة: ١٩٩] فهم يسألون المغفرة بعد تهجدهم وقيامهم وسهرهم في طاعة الله، خوفـًا من أن يكون هناك تقصير، وهذا مما يدل على معرفتهم بأنفسهم، وأنهم يرون أنفسهم مقصرين، خلافـًا لما يفعله بعض الناس الآن إذا تعبد لله تعالى بأدنى عبادة شمخ بنفسه وأدل على الله تعالى بها،

وظن أنه من عباد الله الصالحين، صحيح أن الإنسان ينبغي أن يرجو ربه إذا أنعم الله عليه بطاعة أن يقبلها، لكن كونه يرى أنه قد أتم كل شيء. فهذا يخشى أن يحبط عمله وهو لا يشعر).

▪ ما هو وقت السحَر؟

السَّحَرُ: هو قبيل الصبح، ففي الموسوعة الفقهية: السحر آخر الليل قبيل الصبح، وقيل: هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر.(٢٤/ ٢٦٩).

▪ وقال بعضهم: هو الوقت الكائن بين الفجر الكاذب والفجر الصادق.

فما كان بين هذين الفجرين فإنه يسمى بوقت السّحر كما حققه أبو الفضل ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (فتح الباري)، واختاره

شيخ شيوخنا محمد حبيب الله بن ما يابا الشنقيطي في (إضاءة الحالك)، وذكر قول بعض المغاربة:

مـــا بـــيَّن كـــاذبٍ وصـــادقٍ سَـــحَّر

علـــى الـــذي اختـــارَه ابـــن حجـــر

(الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي -حفظه الله-).



تأملات في آيتي ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ و﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾

السؤال: ما هو الفرق بين الآيتين والمستغفرين بالأسحار وبالأسحار هم يستغفرون؟

الإجابة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فكلا الآيتين مدح للاستغفار في هذا الوقت بعينه وقت السحر وهو آخر الليل، والفرق بينهما من وجهين، الأول: التقديم والتأخير. والثاني: التعبير بالاسم (المستغفرين) في الآية الأولى، وبالفعل (يستغفرون) في الآية الثانية.

وبيان ذلك أن الفصاحة العربية من قواعدها تقديم ما يستحق التقديم وتأخير ما يستحق التأخير، بحسب مراد المتكلم وما يقتضيه السياق.

قال سيبويه: إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم انتهى.

وقد عقد الجرجاني فصلا للتقديم والتأخير في كتابه الفذ (دلائل الإعجاز) وشرح فيه كلام سيبويه هذا وقال في أوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة".

فالسياق في سورة [آل عمران] وارد في تفصيل صفات الذين اتقوا مطلقا، ومنها قوله:﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ

﴿بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ [سورة آل عمران: ١٧].

وكلها صفات على نسق واحد ختمت بصفة الاستغفار، وقدم الاستغفار فيها على ذكر وقته الفاضل - الذي هو السحر - اهتماما واعتناء وتنويها بفضله في نفسه بقطع النظر عن وقته، ويدل على هذا الاهتمام ابتداء هذه الصفات في السياق نفسه بهذه الصفة ذاتها، وهي طلب المغفرة، كما قال تعالى قبلها مباشرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران:١٦].

ولذلك جاء التعبير بالاسم الذي يدل على الثبات والدوام، في حين أن التعبير بالفعل يدل على الحدوث والتجدد.

قال السيوطي: الاسم يدل على الثبوت والاستمرار،

والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر... والمراد بالتجدد في الماضي الحصول وفي المضارع [ومنه آية سورة الذاريات التي معنا] أن من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى [الإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٥٧٨، ٥٧٩)، وانظر كذلك: البرهان في علوم القرآن: (٤/ ٦٦)، ومباحث في علوم القرآن: (ص: ٢٠٩)].

فالحاصل أن اختيار الاسم في هذا السياق أولى؛ إذ هو أدل على ثباتهم على حال الاستغفار واستمرارهم عليه، من بداية حالهم إلى نهايته، فهي صفة لازمة لهم.

بخلاف قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨]، حيث كان الوصف للمحسنين من المتقين، وهم خيرهم وأفضلهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ

رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٨-١٥]، ومعلوم أن الإحسان هو أعلى مقامات الدين، فليس المراد مجرد ذكر كونهم يقومون بالليل ويستغفرون، ولكن كونهم لا ينامون من الليل إلا قليلا، وكونهم يستغفرون في أكمل الأحوال وأفضل الأوقات وأشقها استيقاظًا على الناس وأحبها راحة لديهم أو انشغالا بشهواتهم، وهو السحر، كما قال النبي ﷺ: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**). [متفق عليه].

وعن أبي أمامة قال: قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: (**جوف الليل الآخر**). [رواه الترمذي وحسنه، وحسنه

أيضا الألباني].

ولذلك قالت عائشة: **من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ فانتهى وتره إلى السحر**. [متفق عليه].

وقال ابن كثير: قال كثير من المفسرين في قوله تعالى إخبارا عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٩٨] قالوا: أخرهم إلى وقت السحر.

وعبر هنا بالفعل الذي يدل على الحدوث والتجدد، فإنهم وإن كانوا يمدون صلاتهم إلى السحر، إلا أن حالهم عندئذ ليس بحال المانِّ بعمله المعجب به، وإنما يتجدد لهم في هذا الوقت وهم على تلك الحال من معاني الإيمان ومعرفة الله ما يوجب لهم طلب المغفرة وتكراره، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ

لَهَا سَٰبِقُونَ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، فهم يفتتحون قيامهم بالثناء على الله وطلب مغفرته - كما هو ثابت في السنة - ثم يتجدد لهم ما يدعوهم لإعادته وتكراره في ختامه أيضا، وهذا لكونهم محسنين يعبدون الله كأنهم يرونه، فيحتقرون أعمالهم في جنب الله ويتهمون أنفسهم ويقرون عليها بالتقصير والتفريط في حقه تعالى، كما ثبت أن الملائكة يقولون يوم القيامة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

ثم لا يخفى ما في كل آية من الآيتين من تناسب مع الفواصل السابقة لها في سورتها ورءوس آيها، وهذا أحد علوم القرآن، قال الزركشي: اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما. اهـ

والله أعلم. (موقع إسلام ويب).

ختم الأعمال والأعمار بالاستغفار

▪ قال العلامة الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والاستغفار: هو خاتمة الأعمال الصالحة، فلهذا أُمِر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعله خاتمة عمره.

▪ كما يشرع لمصلي المكتوبة أن يستغفر عقبها ثلاثا،

▪ وكما يشرع للمتهجد من الليل أن يستغفر بالأسحار قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ وقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾.

▪ وكما يشرع الاستغفار عقيب الحج قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾.

▪ وكما يشرع ختم المجالس بالتسبيح والتحميد والاستغفار وهو كفارة المجلس، وروي أنه يختم به الوضوء أيضا.

وسبب هذا أن العباد مقصرون عن القيام بحقوق الله كما ينبغي، وأدائها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وإنما يؤدّونها على قدر ما يطيقونه.

فالعارف يعرف أن قدر الحق أعلى وأجل من ذلك، فهو يستحي من عمله، ويستغفر من تقصيره فيه كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته، وكلما كان الشخص بالله أعرف كان له أخوف، وبرؤية تقصيره أبصر، ولهذا كان خاتم المرسلين وأعرفهم برب العالمين - ﷺ - يجتهد في الثناء على ربه، ثم يقول في آخر ثنائه: (**لا أحصي ثناء عليك أنت**

كما أثنيت على نفسك). [تفسير ابن رجب الحنبلي/ تفسير سورة النصر (الجزء الثاني. ص: ٦٥٠)].

- بل ختم المصطفى ﷺ حياته الشريفة المباركة العامرة بتحقيق العبودية والأعمال الصالحة بالاستغفار.

- قال العلامة الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان النبي ﷺ يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول هذه السورة، ففي "الصحيحين" عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**) يتأول القرآن.

وفي "المسند" و "صحيح مسلم" عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: (**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**). وقال: (**إن ربي كان أخبرني أني**

سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابا، فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح). السورة كلها.[تفسير ابن رجب الحنبلي/ تفسير سورة النصر (الجزء الثاني. ص: ٦٤٨)].

- قال الشيخ الرباني عبد الرزاق البدر –حفظه الله–:

(ختم الطاعات بالاستغفار)

كثيراً ما يرد في القران الكريم الأمرُ بالاستغفار والحثُّ عليه والترغيبُ فيه وبيانُ ثماره وآثاره، ولا سيما في نهاية الطاعات وعند إتمام العبادات، وقد كان من هدي النَّبيِّ ﷺ ختمُ الأعمال الصالحة بالاستغفار، فقد ثبت في صحيح مسلم (٥٩١): **(أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثـًا)**، وورد ختم صلاة الليل بالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ

بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾، فذكر أنهم يتهجدون ويتعبدون لله ويرون أنَّهم مقصِّرون فيسألون الله المغفرة، ولذا ختم – سبحانه – سورة المزمل وهي سورة قيام الليل بقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾، وشُرع للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوبة فإنَّ أحسن ما ختمت به الأعمال التوبة والاستغفار، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِى مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِى مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**). [رواه الترمذي:(٥٠)]، وقال تعالى في آيات الحجِّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ

وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩]، والمراد بالإفاضة هنا أي إلى منى يوم العاشر من ذي الحجة، حيث يقوم الحاجُّ بإكمال أعمال حجهم التي هي خاتمة أعماله.

- قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية مبيّنا أنَّ الحكمة من ذلك ليكون جابراً لما حصل من العبد من نقص، ولما وقع منه من خلل أو تقصير: (فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذِكْرُ اللهِ شُكْرُ اللهِ على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنَّة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلَّما فرغ من عبادة أن يستغفرَ الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمَن يرى أنَّه قد أكملَ العبادةَ ومنَّ بها على ربِّه، وجعلت له محلاًّ ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق

بالمقت ورد العمل كما أنَّ الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخر)). اهـ.

وكان من هديه ﷺ ختم مجالسه بالاستغفار، روى أبو داود عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: (**سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك**)). [سنن أبي داود: (٤٨٥٩)]، وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (**مَن جلس في مجلس فكثر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللَّهمَّ ربَّنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلاَّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك**).

[سنن أبي داود: (٤٨٥٨)، وسنن الترمذي: (٣٤٣٣)].

بل لقد ختم ﷺ حياتَه العامرةَ بتحقيق العبودية وكمال

الطاعة بالاستغفار، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنَّها سمعت رسول الله ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مُسنِدٌ إليها ظهرَه يقول: (**اللَّهمَّ اغفر لي وارحَمني وألحِقنِي بالرَّفيق الأعلى**). [صحيح البخاري: (٤٤٤٠)]. مع ملازمة عظيمة منه ﷺ للاستغفار في أيام حياته الزكيَّة وعمره الشريف.

وكان هذا دأب السلف الصالح، قال ابن رجب رحمه الله: (كان السلف يرون: أن من مات عقب عمل صالح؛ كصيام رمضان أو عقيب حج أو عمرة يرجى له أن يدخل الجنة، وكانوا مع اجتهادهم في الصحة في الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد؛ لما احتضر العلاء بن

زياد بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحبُّ أن أستقبل الموت بتوبة قالوا: فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتطهر ثم دعا بثوب جديد فلبسه ثم استقبل القبلة فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ثم اضطجع و مات، ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال: لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون: اللهم إني أستغفرك من تقصيري و تفريطي و أتوب إليك من جميع ذنوبي لا إله إلا الله ثم لم يزل يرددها حتى مات رَحِمَهُ اللهُ، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه عند موته: اللهم أمرتنا فعصينا و نهيتنا فركبنا و لا يسعنا إلا عفوك لا إله إلا الله ثم رددها حتى مات). [لطائف المعارف. (ص: ٣٦٢)].

وهذا الاستغفار ثماره وبركاته على أهله لا تُعدُّ ولا تُحصى في تتميم أعمالهم وجبر تقصيرهم، ورفعة مقامهم،

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، من العمل الناقص إلى العمل التامّ، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإنَّ العابد لله والعارف بالله في كلِّ يوم، بل في كلِّ ساعة، بل في كلّ لحظة يزداد علماً بالله وبصيرةً في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله. ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقّها. فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطرٌّ إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرّات، وطلب الزيادة في القوّة في الأعمال القلبية

والبدنيّة اليقينية الإيمانية). [مجموع الفتاوى: (١١/ ٦٩٦).. اهـ].

▪ وقد أعدَّ اللهُ في الدنيا والآخرة للمستغفرين من عظيم أجوره وكريم مواهبه وجزيل عطاياه ما لا يمكن عدُّه والإحاطةُ به. قال لله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [سورة النساء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [سورة نوح: ١٠ ـ ١٢].

روى ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**طوبى لِمَن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**). [سنن ابن ماجه: (٣٨١٨)].

فحري بالمؤمن أن يُلازم الاستغفار وأن يكثر منه، ولا سيما في ختام الطاعات جبرا لما فيه من نقص، وتتميما لطاعته وعبادته، وليفوز بثواب المستغفرين وكريم مآبهم، ونسأل اللهَ - جلَّ وعلا - أن يجعلنا من عباده التوابين الأوّابين المستغفرين، وأن يتوب علينا إنَّه هو التواب الرحيم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



ثمار وآثار الاستغفار

▪ **تكفير السيئات ورفع الدرجات:** قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾ [النساء:١١٠]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم:٨].

(هل من مستغفر فأغفر له) كما جاء في الحديث.

▪ **سعة الرزق:** الاستغفار يسبب سعة الرزق: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ١٢﴾ [نوح:١٠-١٢].

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا

إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود:٣].

▪ **قوة البدن:** قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هود:٥٢]. فمن فوائده تقوية البدن.

▪ **دفع العذاب:** كذلك فإن الاستغفار سبب في دفع العذاب. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال:٣٣].

كذلك فإنه سبب للنجاة عند الورطات، والورطة هي النازلة التي لا مخرج منها، وكان عبد الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ يسبح ربه وينادي في الظلمات ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧].

▪ من أساسيات الاستغفار اعتراف العبد بالذنب، سيد الاستغفار من أسباب سيادته على بقية الأذكار أن فيه

اعترافًا من العبد بالذنب، فإن العبد يقول: (**أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**)، فيعترف بالنعمة، و يعترف بالذنب، وذلك هو سيد الاستغفار، فاعتراف العبد بذنبه مهم في الاستغفار.

▪ **جلاء القلب**: الاستغفار يجلو القلب ويزيل عنه الران، يزيل سواده وغباره وقترته، قال النبي ﷺ: (**إنّ المؤمن إذا أذنب، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه - يرجع القلب إلى حاله الأولى - وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه وذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤]) ولذلك فإن الذي يستغفر ربه، يجلو قلبه وهذا معنى حديث: (**وإنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**).

إذاً يغان على القلب، ويرين عليه ما يرين ويصبح عليه غشاوة، فالاستغفار يجلو ذلك كله، يجلو سحائب المعاصي وغبارها، ولا شك أن وقت الاستغفار مفتوح في كل حين، ولكن هناك بعض الأوقات التي يستحب فيها ويتأكد أكثر من أوقات أخرى...

مع كل ما سبق فإن الاستغفار هو أحد الأشياء التي تُكفَر بها الذنوب، وليس هو كل شيء، فليس كل التكفير بسببه، فإن هناك أموراً يغفر الله سبحانه وتعالى بسببها، فمن الأشياء التي يغفر الله سبحانه وتعالى بسببها:

- التوبة،
- والاستغفار،
- ودعاء المؤمنين،

- ودعاء الملائكة،
- والمصائب،
- وفتنة القبر،
- وما يحصل في المحشر من الأهوال،
- وشفاعة النبي ﷺ،
- وشفاعة الملائكة،
- وشفاعة المؤمنين،
- وفي النهاية أرحم الراحمين، بعد أن يشفع الملائكة، والنبيّون، والصالحون، يبقي أرحم الراحمين، فإن لم تمح الذنوب، ولا زالت السيئات أكثر، فإنه لا بد من تطهيرٍ بالنار والعياذ بالله.

إذاً: فليبدأ الإنسان من البداية ويستغفر من الآن؛ بدلاً من

أن يترك المسألة لفتنة القبر، وأهوال المحشر، والصراط، ولفحات جهنم، من الآن يستغفر الله عز وجل ويتوب إليه، ويكثر من قول: أستغفر الله، وتذكر هذه الوصية من النبي ﷺ: (**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**)).[(١٣ - ٢١/ ١٩٦)/ دروس للشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله مفرغة / الموسوعة الشاملة].



العلاقة بين التوحيد والاستغفار

كثيراً ما نمرّ على الآيات ونقرأ الأحاديث، فنجد حبلاً ينظم بين عددٍ منها، ونلحظ علاقاتٍ تقوم بينها، لا تظهر إلا عند التأمّل في هذه النصوص الشرعيّة وتدبّرها، ولعل من اللافت في ذلك، ما نراه من رابطةٍ متينة، وتوافقاتٍ لطيفة، قامت بين شهادة أن لا إله إلا الله، وبين الاستغفار وطلب التجاوز والعفو منه تعالى.

لنتأمّل كيف ذكر الله سبحانه وتعالى هذين الأمرين جميعًا في سياقٍ واحد: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، ثم لننظر كيف اشتملت الآية السابقة على هاتين العبادتين، وما جمع الله

بينهما إلا ليُنبّه عباده على التلازم والتوافق الحاصل بينهما.

والسرّ في هذه العلاقة أن التوحيد سببٌ في تحصيل الخيرات بأنواعها، والاستغفار سببٌ في محو الذنوب التي تسوء الإنسان في دنياه وأخراه، فيتحصّل من هاتين العبادتين: تحقيق الخير بأنواعه، وإزالة الشرّ بأصنافه، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالتوحيد هو جماع الدين الذي هو أصلُه وفرعه ولُبّه، وهو الخير كلُّه، والاستغفارُ يُزيل الشرَّ كلَّه، فيحصل من هذين جميعُ الخَيْر وزوالُ جميع الشرّ. وكلُّ ما يُصيب المؤمن من الشرِّ فإنما هو بذنوبه).

ويمكن القول كذلك: إن تحقيق التوحيد الخالص يقتلع من القلب شجرة الشرك الخبيثة من جذورها، وأما

الاستغفار: فيمحو الذنوب والعثرات التي هي من عوالق الشرك، فالتوحيد يُذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، ولذلك نجد أن الحديث القدسي تعرّض لهاتين القضيّتين في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**). [رواه الترمذي].

وإننا لنجد هذه العلاقة تتكرّر بين الحين والآخر، فنراها في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]،

فهنا الأمر الإلهي ببيان حقيقة التوحيد، والمتضمّنة لإفراد الله بالعبودية، ولزوم الاستقامة النابعة من هذه الحقيقة، مع المداومة على الاستغفار؛ لأن العامل وفق مقتضى التوحيد، لا مناص من وقوعه في التقصير والخلل؛ وحتى يصحّح الموحّد مساره ويقوّم صراطه، كان ينبغي عليه أن يُلازم الاستغفار.

وقد يحسن بنا أن نضرب لهذه القضيّة مثلاً، فإن من أراد بأحد الملوك حاجةً، فإن أوّل ما يُفكّر فيه: كيف يستطيع الوصول إلى هذا الملك؟ وكيف تُزال عنه الموانع التي تمنع من محادثته ومخاطبته بطلبه وحاجته، كذلك أمرُ التوحيد والاستغفار، فالتوحيد – كما يقول الإمام العلامة الرباني ابن القيم –: (يدخل العبد على الله عزّ وجل،

والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه: زال عنه همّه وغمّه وحزنه)، ولعل ذلك هو ما جعل من دعوة يونس عليه السلام خير ما دعا بها أهل البلاء والكروب، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**دعوة ذي النون، إذْ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له**).[رواه الترمذي]، وذو النون هو نبي الله يونس عليه السلام.

ثم نجد هذه الرابطة اللطيفة في حديث اشتُهر وعُرف باسم سيد الاستغفار، وهو حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت**

ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثم خُتم الحديث بفضلٍ آخر يدلّ على حُسْن خاتمة الملازِمين والمداومين لهذا الدعاء الجليل، قال ﷺ: **(ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة)**.[رواه البخاري].

قال ابن أبي جمرة تعليقًا: "جمُع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه هو الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذ

عليه، والرجاء بما وعده به، والاستغفار من شر ما جنى العبد على نفسه".

وجرت العادة في العُرف الشرعي أن تُختتم العبادات بالدعاء المتضمّن لطلب التجاوز من العلي الغفّار جلّ جلاله، خصوصاً لما يقع من الإنسان من الخطأ والتقصير، الأمر الذي يوضّح ويُبرز هذا التلازم جليّاً واضحاً، ففي الوضوء يُسنّ اختتامه بدعاء: (**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**) [رواه الترمذي]، وفي مُختتم الصلاة يقول المصّلي قبل تسليمه: (**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا**

أنت). [رواه الترمذي بطوله، ورواه أبو داود مختصراً].

ويروي ابن عباس ﵄ قائلاً: كان النبي ﷺ إذا تهجّد من الليل، قال: (**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**). [رواه البخاري].

وقد تجاوز الأمر دائرة العبادات ليشمل مجالس الناس التي يحدث فيها اللغو والكلام الذي لا يكون في ميزان حسنات العبد، فجاءت السنّة لتُقرّر ختم هذه المجالس بالدعاء المشتمل على شهادة التوحيد والاستغفار، ففي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي، أن النبي ﷺ قال: (**من جلس في مجلس فكثر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن**

يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك).

فيتبيّن مما سبق، شمول اقتران الاستغفار بشهادة أن لا إله إلا الله، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، فحق الله أن نوحّده ولا نُشرك به شيئًا، ومقتضى الإنسانيّة أن نستغفر الله من ذنوبنا وخطئنا وتقصيرنا، وبهاتين العبادتين يحصل الفلاح للعبد وتتحقق له النجاة. (موقع إسلام ويب).



قوام الدين بالتوحيد والاستغفار

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع. كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾. وقوله: ﴿۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾. وقوله:

﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾.

وخاتمة المجلس: (**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**). إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له وقد روي أيضا أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: (**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**). وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار".

[مجموع الفتاوى: (١٠ / ٢٦٢)].

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجًا إلى

التوبة والاستغفار.

ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال: قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧]؛ قال بعضهم: أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار، وفي الصحيح أنّ النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: (**استغفر ثلاثا، وقال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**). وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]، ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار، كما قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا

حَسَنًا﴾ [هود: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، ولهذا جاء في الحديث:

(**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار**)، وقال يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله، ثم يكبر ثلاثا، ويقول: (**لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي**)؛ وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء: (**سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**).

[التحفة العراقية: (١/ ٧٩، ٨٠)].

القَصيدةُ التّائيّة فِي الوعظِ

▪ من روائع الشعر والحِكَم القصيدة التائية في الوعظ:

إلَــى كَــمْ تَمَــادَى في غُــرُوْرٍ وَغفلَــة
وَكَــمْ هَكــذا نــومٌ إلَــى غيــر يَقْظَــةِ

لَقَــدْ ضَــاعَ عُمْــرٌ سَــاعَةٌ منــه تُشْــترى
بمِــلءِ السَــما والأرض أيَّــةَ ضَــيْعَةِ

أَيُنْفَــقُ هَــذَا في هَــوَى هَــذِهِ التــي
أَبَــى اللهُ أَنْ تسْــوَى جَنَــاحَ بعوضَــةِ

أَتَرْضَــى مِــن العَــيْشِ الرَّغِيْــدِ وَعِيْشَــةٍ
مَــعْ المــلأ الأَعْلَــى بِعــيْشِ البَهِيْمَــةِ

فيـــا دُرَّةً بَـــيْنَ المَزَابِـــلِ أُلْقِيَـــتْ

وَجَـــوْهَرَةً بيْعَـــتْ بـــأَبْخَسِ قِيْمَـــةِ

أَفَـــانٍ بِبَـــاقٍ تَشْـــتَرِيْهِ سَـــفَاهَةً

وَسُـــخْطًا بِرِضْـــوَانٍ ونـــارًا بجنـــةِ

أَأَنْـــتَ صَـــدِيقٌ أَمْ عَـــدوٌ لِنَفْسِـــهِ

فإنَّـــكَ تَرْمِيْهَـــا بِكُـــلِّ مُصِـــيْبَةِ

ولـــو فَعَـــلَ الأَعْـــدَا بِنَفْسِـــكَ بَعْـــضَ مَـــا

فَعَلْـــتَ لَمَسَّـــتْهُم لَهَـــا بَعْـــضُ رَحْمَـــةِ

لَقَـــدْ بِعْتَهـــا هَوْنًـــا عَلَيْـــكَ رَخيْصَـــةً

وكانَـــتْ بِهَـــذا مِنْـــكَ غَيْـــرَ حَقِيْقَـــةِ

أَلاَ فاسْـــتَفِقْ لا تَفْضَـــحَنها بِمَشْـــهَدٍ

مِـــنَ الخَلْـــقِ إِنْ كُنْـــتَ ابْـــنَ أُمٍّ كَرِيمـــةٍ

فَبَــــيْنَ يَــــدَيْهَا مَشْـــــهَدٌ وَفَضِـــــيحَةٌ
يُعَـــــدُّ عَلَيْهَــــا كُـــــلُّ مِثْقَـــــالِ ذَرَّةِ

فُتِنْـــتَ بِهَـــا دُنْيـــا كَثِيْـــرٌ غُرُوْرُهَـــا
تُعَامِـــــلُ في لَـــــذَّتِهَا بالْخَدِيْعَـــــةِ

إذَا أقْبَلَـــتْ بَـــذَّتْ وَإنْ هَـــي أَحْسَـــنَتْ
أَسَـــاءَتْ وإنْ ضَـــاقَتْ فَثِـــقْ بالكُـــدوْرَةِ

وإنْ نلْـــتَ مِنْهَـــا مـــالَ قـــارُوْنَ لَـــمْ تَنـــلْ
سِـــوَى لُقْمَـــةٍ في فِيْـــكَ مِنْهَـــا وخِرْقَـــةِ

وهَيْهَـــاتَ تحْظـــى بالأمـــاني ولَـــمْ تَكُـــنْ
لِتَنْزِعَهَـــا مـــن فِيْـــكَ أَيْـــدِي المنِيَّـــةِ

فَـــدَعْهَا وأَهْلِيْهَـــا لِتَغْـــبِطَهُمْ وخُـــذْ
لِنَفْسِـــكَ عنهـــا فهـــو كُـــل غَنِيْمَـــةِ

وَلاَ تغْــبِط مِنْهَــا بِفَرْحَــةِ سَــاعَةٍ
تَعُــوْدُ بــأَحْزَان عَلَيْــكَ طَوِيْلَــةِ
فَعَيْشُــكَ فِيْهَــا أَلْــفُ عَــامِ وتَنْقَضِــيْ
كَعَيشِــكَ فِيْهَــا بَعْــضُ يَــوم وَلَيْلَــةِ
وكُــنْ ذَاكِــرًا للهِ فِي كُــلِّ لَحْظَــةٍ
ولا تَنْسَــهُ تُنْسَــى فَخُــذْ بنَصِــيْحَتِي
كَلِفْــتَ بِهَــا دُنْيًــا كَثِيْــرٌ غُرُوْرُهَــا
تُقَابِلُنَــا فِي نُصْــحِهَا فِي الخَدِيْعَــةِ
عَلَيْــكَ بِمَــا يُجْــدِي عَلَيْــك مِــن التُّقَــى
فإنَّــكَ فِي سَــهْوٍ عَظِــيمٍ وَغَفْلَــةِ
تُصَــلِيْ بِــلا قَلْــبٍ صَــلاة بِمِثْلِهَــا
يكــونُ الفَتَــى مُسْــتَوْجِبًا لِلْعُقُوْبَــةِ

تصــــلّي وقــدْ أتْمَمْتَهـــا غيْــرَ عَـــالم
تزيــدُ احْتِياطــًا ركْعَــة بعــدَ رَكْعَــةِ
فوَيْلَـــكَ تــدْري مَـــنْ تُناجيـــهِ مُعْرضـــا
وبــيْنَ يَــدَيّ مَــن تَنْحنِــي غَيْــرَ مُخْبــتِ
تُخاطِبُــــهُ إيَّــــاكَ نَعْبُـــدُ مُقْـــبِلًا
عَلَـــى غَيــرِهِ فيهَـــا لِغَيــرِ ضَــرُوْرَةِ
ولـــو رَدَّ مَـــن نَاجَـــاكَ لِلغَيْــرِ طَرْفَــهُ
تَمَيَّـــزْتَ مِـــن غـــيظٍ عليـــهِ وَغَيْــرَةِ
فوَيلَـــكَ تَــدْرِي مَـــن تُناجِيْـــهِ معْرضًـــا
وبَــيْنَ يَــدَي مَــن تَنْحَنِــي غَيْــرَ مُخُبْــتِ
أمـــا تســـتَحي مِـــن مالـــكِ المُلْـــكِ أن يَـــرى
صُـــدودَكَ عنْـــهُ يـــا قليـــلَ المُـــرُوءةِ

صـــلاةٌ أقيمَـــتْ الله يَعْلَـــمُ أنَّهـــا
بِفِعْلِـــكَ هـــذا طاعَـــةٌ كالخطيئَـــةِ

ذُنُوبُـــكَ في الطَّاعـــاتِ وهـــي كثيـــرةٌ
إذا عُـــدِّدتْ تكْفيـــكَ عَـــنْ كـــلِّ زِلَّـــةِ

سَـــبيلُكَ أنْ تَسْـــتَغفِرَ الله بَعْـــدَها
وأنْ تتلاَفَـــى الـــذَّنْبَ منهـــا بتَوبَـــةِ

أيَّـــا عَـــامِلاً لِلْنَّـــارِ جِسْـــمُكَ لَـــينٌ
فَجَرِّبْـــهُ تَمْرِيْنَـــا بحَـــرِّ الظَّهِيْـــرَةِ

وَجَرِّبْـــهُ في لَسْـــعِ الزَّنَـــابِيرِ تَجْتَـــرِي
عَلَـــى نَهْـــشِ حَيَّـــاتٍ هُنـــاكَ عَظِيْمَـــةِ

فَـــإنْ كُنْـــتَ لاَ تَقْـــوَى فَوَيْلَـــكَ مـــا الـــذي
دَعَـــاكَ إلـــى إسْـــخاطِ رَبِّ البَرِيَّـــةِ

تُبَـــارِزُهُ بـــــالمُنْكَراتِ عَشِـــــيَّةً

وَتُصْـــبِحُ في أثْـــوَابِ نُسْـــكٍ وَعِفَـــةِ

تُسِــيءُ بِــه ظنًـا وَتُحِسِــنُ تــارةً عَلَــى

حَسْــبِ مــا يَقْضِــي الهــوَى بالقَضِــيِّةِ

فأَنْــتَ عليــهِ أجْــرَى مِنْــكَ عَلَــى الــوَرَى

بِمَــا فِيْــكَ مِــن جَهْــلٍ وَخُبْــثِ طَوِيَّــةِ

تَقُــولُ مَــعَ العِصْــيانِ رَبــي غَــافر

صَــدَقْتَ وَلَكِــنْ غَــافرٌ بالمَشِــيْئَةِ

وَرَبُّــكَ رَزَّاقٌ كَمَــا هُــوَ غَــافِرٌ

فَلِــمَ لاَ تُصَــدِّقْ فِيْهَمــا بالسَّــوِيِّةِ

فَكَيْــفَ تُرَجِّــي العَفْــوَ مِــن غَيْــرِ تَوْبَــةٍ

وَلَسْــتَ تُرجِّــي الــرِّزْقَ إلاَّ بحِيْلَــةِ

عَلَــى أنَّــه بــالرِّزْقِ كَفَّــلَ نَفْسَــهُ
وَلَــمْ يَتَكَفَّــلْ للأَنَــامِ بجنَّتِــي
ومــا زِلْــتَ تَسْــعَى بالــذي قَــدْ كُفِيتَــهُ
وَتُهمِــلَ مــا كُلِّفتَــهُ مِــن وَظِيْفَــةِ
إلهــي أجِرْنَــا مِــنْ عظِــيْمِ ذُنُوبِنَــا
ولا تُخْزِنَــا وَانْظُــرْ إلينَــا بِرَحْمَــةِ
وَخُــذْ بِنَواصِــيْنَا إليْــكَ وَهَــبْ لَنَــا
يَقينًــا يَقِيْنَــا كُــلَّ شَــكٍّ وَرِيْبَــةِ
إلهــي اهْــدِنَا فِــيْمَنْ هَــدَيْتَ وَخُــذْ بِنَــا
إلــى الحَــقِّ نَهْجًــا في سَــواء الطَّرِيْقَــةِ
وكُــنْ شُــغْلَنا عَــنْ كُــل شُــغْلٍ وَهَــمٍّ
وَبْغْيتَنَــا عــن كُــلِّ هَــمٍّ وَبُغْيَــةِ

وصـــلِّ صـــلاةً لا تَنَـــاهى عَلَـــى الـــذي
جَعَلْـــتَ بِـــهِ مِسْـــكًا خِتَـــامَ النُّبُـــوَّة

وَآلٍ وَصَـــــحْبٍ أَجْمعِـــــينَ وَتـــــابع
وتـــابعِهِمْ مـــن كـــلِّ إِنـــسٍ وجِنّـــةِ

القصيدة للشاعر الإمام الفقيه الشافعي اليمني أبي محمد إسماعيل بن المقري رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٥٤هـ -٨٣٧هـ).

ومما جاء في ترجمته في "البدر الطالع" للعلامة الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ قوله عنه: "بل قيل إن اليمن لم ينجب مثله. وشعره في الذروة العَالِيَة حَتَّى قَالَ بعض معاصريه: إنه أشعر من المتنبي.

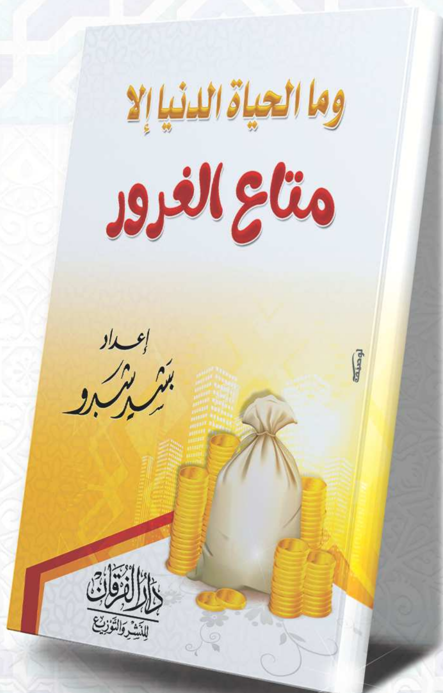
وَالحَاصِل أنه إمام في الفِقْه والعربية والمنطق وَالأُصُول وَذُو يَد طولى فِي الأَدَب نظمًا ونثراً ومتفرد بالذكاء وَقُوَّة

الفَهم وجودة الفِكر وَله في هَذَا الشَّأْن عجائب وغرائب لَا يقدر عَلَيْهَا غَيره وَلم يبلغ رتبته فِي الذكاء واستخراج الدقائق أحد من أَبنَاء عصره بل وَلَا من غَيرهم..." [البدر الطالع ١/ ١١٤].



فهرس الموضوعات

صَدَرَ لِلمُؤَلِف


وما الحياة الدنيا إلا
متاع الغرور
إعداد
بشير شبرو
دار الفرقان
للنشر والتوزيع


ISBN 978-9931-616-48-1
9 789931 616481

